التنظيمات الزراعية

في الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ

تأليف:

أ. د. الريح حمد النيل أحمد الليث

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م
Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

ح مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الليث ، الريح حمد النيل أحمد

التنظيمات الزراعية في الجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم. / الريح حمد النيل أحمد الليث. - المدينة المنورة ، ١٤٣٩ هـ

٣٣٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ١-٩-٩١٠٦٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الزراعة - تاريخ - الجزيرة العربية ٢- الري ٣-الجزيرة العربية - تاريخ - عصر صدر الإسلام أ. العنوان

ديوي ٩٥٣٠٠١ , ٦٣٠ ١٤٣٩/٩٧٧٧

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٩٧٧٧

ردمك: ١-٩-٩١٠٦٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

جميع الحقوق محفوظة

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

المملكة العربية السعودية | المدينة المنورة 42318 - 6131 | 4536 طريق الملك عبدالله (الدائري الثاني)

3662 المدينة المنورة 41481 Info@mrsc.org.sa www.mrsc.org.sa

K.S.A | Al-Madinah Al-Munawwarah 42318 - 6131 | 4536 king Abdullah Road - (2nd Ring Circle)

التنظيمات الزراعية
في الجزيرة العربية
في عصر الرسول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لقد عرفت الجزيرة العربية بقسوة مناخها الجاف، وقلة أمطارها سوى بعض الواحات الصغيرة المترامية في صحرائها الشاسعة، وكانت اليمن أخصب نواحي الجزيرة العربية لما تمثله جبال السروات المرتفعة من أهمية في تزايد سقوط الأمطار واعتدال أجوائها، وكان انتشار الأشجار ووفرة المراعي سبباً في الاستيطان البشري على مر العصور.

كانت الطائف الواقعة فوق سلسلة جبال السراوات مشهورة بزراعة الفواكه فاتخذها تجار مكة مصيفاً لهم وتملكوا فيها المزارع وبنوا فيها القصور.

كما كانت اليمامة في وسط الجزيرة العربية مشهورة بزراعة القمح وتصدره إلى مكة وغيرها من بلدان الجزيرة العربية.

وعرفت (يثرب) بالزراعة واشتهرت بخصوبة الأرض ووفرة المياه، وحينما سكنها اليهود والعرب استصلحوا أرضها، وانتشرت الزراعة بين حرتيها – حرة واقم (الحرة الشرقية) وحرة الوبرة (الحرة الغربية) – وكان لخصوبة أرضها الأثر الكبير في جودة المنتجات الزراعية، حيث أمدت اللابة البركانية المنصهرة تربتها بأجود المواد المساعدة لنمو الزرع والأشجار، كما كان للأودية المنحدرة من جنوب المدينة لشمالها الأثر الكبير في توفر المياه وعذوبتها، فمن الغرب وادي العقيق الشهير، ومن الشرق والشمال وادي قناة، وفي الوسط تسيح في المدينة أودية مذينيب والرانوناء، ومهزور فتجتمع

في وسط المدينة في وادي بطحان، وكل هذه الأودية تجتمع في شمال المدينة حيث مفيض الأسيال (زغابة).

اشتهرت المدينة بزراعة النخيل، ويعد انتاجه من التمر قُوت العرب في صحرائهم الفقيرة، وكان النبي ﷺ قبيل الهجرة قد رأى في منامه: أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وقال ﷺ: "لا أراها إلا يثرب)، وكان يظن في البداية أنها هجر في أقصى شرق الجزيرة العربية وكانت مشهورة بزراعة النخيل ووفرة الإنتاج من التمر، ولذا ضرب المثل الشهير: " كمستبضع التمر إلى هجر".

وقد هاجر الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة المنورة بعد بيعة العقبة ثم لحقهم الرسول ﷺ، ومرض المهاجرون بداء الملاريا لوفرة المياه والمستنقعات فيها، فدعا النبي ﷺ بنقل الحمى من المدينة المنورة، فأضحت من أصح بلاد الله وأنقاها.

كان غالب المجتمع المدني يعمل في الزراعة وخاصة زراعة النخيل لأهميتها الاقتصادية فمن أوراقها تعمل البسط والمكاتل، وتصنع الحبال من ليفها، ومن جريدها وجذوعها تسقف البيوت، وأما ثمارها فهي قوت مهم للمسافر والمقيم، ونواها يستخدم للماشية، ولذا شبّه النبي ﷺ المؤمن بالنخلة في نفعه.

كما توجد بعض الأودية المشهورة بزراعة النخيل غير بعيدة من المدينة مثل خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء.

لقد حث النبي ﷺ المسلمين على الزراعة، ورغب فيها، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ غَرَسَ غَرْسًا أَوْ زَرَعَ زَرْعًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ سَبُعٌ أَوْ دَابَّةٌ أَوْ طَيْرٌ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ".

ولما كانت الزراعة تمثل أهمية في الإسلام، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْرِسَهَا ، فَلْيَفْعَلْ"..

تبارى الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم أبناؤهم في استصلاح أرض الجزيرة العربية، وحينما فتحت بلاد الشام وفارس ومصر استفادوا من خبرات أهل تلك البلدان في استنباط العيون، وشق قنوات الري، وإقامة السدود على الأودية، وكانت النتائج مذهلة ولا زالت تلك المنشآت العظيمة التي بنيت في العهد الأموي ماثلة قائمة.

لقد جاءت دراسة سعادة الدكتور: الريح حمد النيل حول التنظيمات الزراعية في الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ لتلقي الضوء على الزراعة وأهميتها في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسلمين.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إهـــداء

إلى أبي وأمي عليهما الرحمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التنظيمات الزراعية في عصر الرسول ﷺ في شبه الجزيرة العربية عامة والمدينة المنورة خاصة، من خلال التشريعات التي وضعها ﷺ لتنظيم ملكية الأرض ومصادر المياه، استناداً إلى نظام الإقطاع والإقرار، وتنظيمات الحماية النبوية من أجل المحافظة على حقوق الدولة والملاك، وتنظيم العلاقات بين القبائل والأفراد للحيلولة دون جدد الصراعات والنزاعات التي كانت تنشأ حولها بهدف السيطرة والاستحواذ، بسبب عدم وجود حدود واضحة للملكيات القديمة تحكم تحركات القبائل البدوية، وأخرى تختص بالحضر المستقرين وشبه المستقرين، وما خلفته من آثار سالبة على مجمل النشاط البشري الممارس، حتى يتسنى تجميع الجهود المبعثرة والطاقات المهدرة وتسخيرها للمصلحة العامة والخاصة، إحلالاً لمفاهيم عملية جديدة خاصة بالزراعة شرعها الإسلام وحض عليها وبيَّن أجر من عمل بها، محل المفاهيم التقليدية القديمة التي كانت ترى في الزراعة حرفة وضيعة من عمل العبيد، وهي مفاهيم اتضح خطأها عندما صارت الزراعة حرفة جاذبة في عصر الرسول ﷺ بعد أن كانت طاردة في العصر الجاهلي، خاصة أن تلك المفاهيم ظلت غير قابلة

للتغيير ممكنة بذلك، لسيادة حرفتي التجارة والرعي وسيطرتهما على مفاصل النشاط الاقتصادي في بلاد العرب، في غياب أي تصور لقيام نشاط زراعي في بلاد معظم أراضيها صحراء واسعة قاحلة مجدبة، لتأتي الدراسات العلمية لتثبت بالبراهين والأدلة أن هذه البلاد كانت في أزمان مضت مروجاً خضراء اشتهرت بكثرة الأمطار وغزارتها ونمو النباتات والأشجار ووجود أراض خصبة صالحة للزراعة.

ميّز شبه الجزيرة العربية التباين الذي نجده في طبيعة أرضها ومناخها وطرائق عيش سكانها ونشاطهم التي تختلف من إقليم لآخر من أقاليم بلاد العرب الخمسة، فدرجات الحرارة غالباً ما ترتفع في فصل الصيف حتى تبلغ ستين درجة ولا تنخفض كثيراً في الليل، وفي الوقت الذي تشكو فيه بعض المناطق من كثرة هطول الأمطار وغزارتها حتى تصير سيولاً، تشكو مناطق أخرى من ندرة الأمطار حتى تكاد تنعدم فيها أسباب الحياة، وفي حين نجد معظم أراضيها صحراء جرداء قاحلة نجد مناطق صغيرة أخرى تمتاز بتربة خصبة غنية احترف فيها العربي البدوي والحضري العمل الزراعي، وأكثر ما يظهر التباين في الحرف والمهن، فالجنوب اشتهر غالب أهله بالعمل الزراعي لوفرة العوامل المساعدة على ذلك وكذا مناطق أخرى كإقليم نجد الذي وصف أهله بأنهم كانوا زراعاً مهرة، في حين سادت التجارة عمل أهل مكة، في مقابل نشاط زراعي صناعي واضح نراه في المدينة المنورة، غير أننا نرى فيه تبايناً إيجابياً بدأ واضحاً جلياً في التعدد والتنوع في زراعة المحاصيل الغذائية

والفواكه إلى جانب زراعة النخيل، فقلَّ أن نجد منطقة إلا وقد اشتهرت بإنتاج نوع من أنواع الفاكهة ومحصول من المحاصيل موحياً بارتفاع مؤشر المنافسة بين مختلف المناطق الزراعية بشبه الجزيرة العربية، برزت ملامحه في العصر الجاهلي واكتمل ظهوره في العصر النبوي.

لا شك أن سطح وتضاريس بلاد العرب كان له تأثيره على مجمل النشاط الانساني خاصة الزراعي منه، حيث لا توفر العوامل الجغرافية والظروف المناخية البيئة الملائمة لقيامه واستمراره، غير أن من يتحرر الواقع الجغرافي باحثا عن العوامل المساعدة الباعثة على قيامه، سيجد أن الحياة كانت تدب في مناطق كثيرة في وسط وأطراف الصحراء بفضل ما تختزنه من مياه جوفية، وما يظهر على سطحها من مياه سطحية، تدل على أن شبه الجزيرة كانت عرضة لهطول الأمطار الغزيرة نجم عنها أودية وأنهار ونهيرات وجداول مياه شديدة الاندفاع قوية الجريان، وأودية تتسع حتى تبدو وكأنها أنهار إضافة إلى الآبار والينابيع التي كان لها الفضل في تحويل مساحات كبيرة من المناطق الرملية والصحراوية إلى مراعي طيبة للحيوانات، والأراضي الزراعية القليلة إلى مزارع لأشجار النخيل والشجيرات العطرية يلجأ إليها البدو في الصيف عندما تجف الأعشاب الخضراء.

من يبحث في العلاقة القوية بين العربي والأرض وتمسكه بالإقامة فيها وعدم تركها بادية كانت أو حاضرة رغم الظروف التي تدفعه إلى ذلك، سيكتشف أن رباطاً وجدانياً قوياً بينه وبينها يجعله دائم التفكير في المحافظة

على كل قطرة من المياه السطحية والجوفية لاستخدامها وقت الحاجة، فقام بإنشاء السدود لخزن المياه كأحدث مشاريع للري في جنوب شبه الجزيرة العربية خاصة وشبه الجزيرة العربية، ومن ثم فلا عجب أن اشتهرت شبه الجزيرة العربية بإنتاج العديد من الغلات الزراعية والفواكه والنباتات العطرية، تركز إنتاجها في مناطق عرفت بخصوبتها وكثرة أمطارها مما ساعد على نمو المدن والقرى الزراعية التي امتازت بإمكانياتها الزراعية الهائلة.

مما لا شك فيه أن المجتمع الجاهلي قد مارس الزراعة في مساحة زراعية محدودة من أجل الاكتفاء الذاتي، وأن الجزء الأكبر من العمل الزراعي طغت عليه زراعة النخيل والفواكه، كما يصعب الجزم باتباع نظام الدورة الزراعية رغم حدوث تنوع زراعي محصولي قد يشير إلى العمل بها وإن لم تشر المصادر إليه، وأن علاقات الإنتاج لم تتضح صورتها لاعتماد إنسان شبه الجزيرة العربية على أسرته في القيام بالأعمال الزراعية في معظم الأوقات، فإذا أضفنا إلى ذلك ما حدث من تطور في نظم الري خاصة في جنوب شبه الجزيرة العربية، في فترة زمنية أقرب إلى قيام الإسلام، لأدركنا أن إنسان شبه الجزيرة العربية في موقعه الزراعي كان مهيئًا لحدوث أي تغيير في بنيته الزراعية تلك.

بالرغم من شح المعلومات التفصيلية عن مقومات العمل الزراعي ممثلة في مساحات الأراضي الصالحة للزراعة والأراضي التي تمت زراعتها ومقادير الإنتاج في شبه الجزيرة العربية، ومصادر الري ووسائله في العصر الجاهلي، نجد أن الزراعة تمت ممارستها في مساحات ضيقة، مقارنة بمساحة

شبه الجزيرة العربية التي تفوق مساحة شبه القارة الهندية، إلا أن إنتاجها المحصولي كان يكفي حاجة السكان من الغذاء ويزيد عنها بعض الأحيان، وفي هذا إشارة إلى أن نمط المعيشي السائد آنذاك هو الإنتاج من أجل الاكتفاء الذاتي و الإنتاج من أجل السوق في حدود ضيقة لا تؤثر على النمط الزراعي المعمول به ونوع المزروعات وتعددها.

أهم ما يجب الإشارة إليه أن هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة أوجدت وضعاً سكانياً جديداً لم تألفه المدينة المنورة التي كانت قرية صغيرة عند هجرة المهاجرين والرسول ﷺ من مكة، ولم تكن تتوقع حدوثه رغم أن الأنصار دعوا الرسول ﷺ إلى المدينة وآووه ونصروه، نتج عن ذلك أكبر مشكلتين واجههما الرسول ﷺ وهو يضع أسس أول دولة للإسلام في المدينة المنورة وهما مشكلة السكن ومشكلة العمل، لا بد من إيجاد حل عاجل لهما تمثل في المؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار من خلال مشاركة الأنصار إخوانهم المهاجرين في الدور والمساكن والعمل الزراعي الذي لم يألفه المهاجرون من قبل، مشاركة برزت نتائجها في مشاركة رأس المال التجاري المكي المهاجر ممثلاً في الأغنياء من كبار الصحابة في الاستثمار في العمل الزراعي الذي ساهم مساهمة كبيرة في قيام النشاط الاقتصادي الزراعي المدني بديلاً ومنافساً للاقتصاد التجاري المكي.

استكمالاً للتنظيمات الزراعية شرع الرسول ﷺ في سن التشريعات الخاصة بالزراعة المختلطة لأهمية وجود الحيوان في المناطق الزراعية لما له من

فوائد للإنسان والزراعة على حد سواء، بالاستفادة منه مصدراً للغذاء من لحمه ولبنه، ومصدراً للكساء بالاستفادة من صوفه، ومسكناً ومأوى بالاستفادة من جلده وشعره، وفي العمل بالاستفادة منه في حرث الأرض وسقي الزرع بجر الأدوات الزراعية الثقيلة واستخراج المياه من الآبار.

بعد الفراغ من تنظيم العمل الزراعي اهتم الرسول ﷺ بتنظيم حماية الزرع أو حدود الأرض، وحماية المزروعات والمنتجات الزراعية، وتنظيم عملية نقل المحاصيل الزراعية من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك، وكذلك منع التعدي على حقوق الغير باحتكار أقواتهم والتحكم في مصائرهم، وتنظيم البيوع الزراعية بالعمل على تطهيرها من الممارسات الخاطئة التي كانت تتم في البيع والشراء وغيرها من المعاملات الزراعية.

جاءت الدراسة في خمسة فصول على النحو التالي:

تضمن الفصل الأول التنظيمات الزراعية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، من خلال البحث في التكوين الجغرافي لشبه الجزيرة العربية الذي يشمل السطح، والتضاريس، والمناخ وموارد المياه والموقع.

تضمن الفصل الثاني التنظيمات الزراعية النبوية، بالتركيز على السياسة النبوية الخاصة بملكية الأرض وموارد المياه أو ملكية الأراضي الزراعية ووسائل الري، وذلك بالبحث في ما قام به النبي ﷺ من معالجة للنزاع حول الأراضي ومصادر المياه.

وتضمن الفصل الثالث تنظيمات الري النبوية، ونستعرض في هذا الفصل السياسة التي اتبعها الرسول ﷺ للاستفادة من الأراضي الزراعية وموارد المياه الصالحة للاستغلال، ذلك من خلال التشريعات المنظمة للعمل الزراعي والتشريعات الخاصة بتطوير طرق ووسائل الري.

تضمن الفصل الرابع تنظيمات الغطاء النباتي والشجري، والزراعة المختلطة بالتركيز على الحيوان إلى جانب أنواع الأشجار ونظام الحمى وحرمة الحرم.

تضمن الفصل الخامس تنظيمات الممارسات والبيوع الزراعية التي كانت سائدة في الجاهلية من خلال التشريعات التي سنَّها الرسول ﷺ لتنظيم علاقات الإنتاج الزراعية بين الأفراد والجماعات من جانب والدولة الإسلامية من جانب آخر.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله لنا ذخراً يوم الدين، وأن يتقبل منا وينفعنا بما علمنا، وينفع به كل قارئ، إنه سميع مجيب.